**البعد الفلسفي للبيواتيقا**

تمهيد: البيوإتيقا معرفة متعددة التخصصات، إذ تساهم في بحث موضوعاتها عدة معارف وعلوم مثل القانون والدين والسياسة وعلم الاجتماع والفلسفة، إلا أن للبعد الفلسفي دور هام في التأسيس لها وفي بحث موضوعاتها.

الاشكالية: ماهي تجليات البحث الفلسفي في البيوإتيقا ؟

الحل:

- **البعد التأسيسي:** رغم أن الباحث (غي ديران ) في كتابه: " مقدمة في البيوإطيقا: التاريخ والتصورات والوسائل." يرجع نشأة كلمة البيوإطيقا إلى سنة 1970 " في مقال لعالم السرطان الأمريكي فون رونسيلار بوتر بعنوان ( البيوإطيقا علم البقاء)، فإن مساهمة الفلسفة في بلورة وتأسيس البيوإتيقا لا تحتاج الى دليل، حيث ساهم بعض الفلاسفة الأمريكان في النقاشات والأبحاث المؤسسة للبيوإتيقا في أمريكا أين مهد ظهورها مثل دانيال كالاهان الذي ألف موسوعة بيوتيقية وتأسيس مركز هاستيغز لتطوير البيوإتيقا.

**- البعد الأخلاقي:** تتمثل علاقة الفلسفة بالبيوإطيقا في أن هذه الأخيرة تعنى بتطبيق الأخلاق والقيم على المسائل البيو-طبية والبيو-تكنولوجية، ومن المعلوم أن الأخلاق خاصة والقيم بوجه عام مبحث أساسي في الفلسفة يخضع الفعل الإنساني إلى معايير أخلاقية، ويدعونا إلى احترام الشخص الإنساني والحرص على كرامته، ومع ظهور البيوإطيقا تحولت الأخلاق الفلسفية من النظري إلى التطبيقي، أي لم تعد الأخلاق مجرد بحث عن قيم الخير المثلى الثابتة مع أفلاطون، ولا الغايات القصوى للأفعال الإنسانية مع أرسطو، بل أصبحت ابتداء من كانط واجبات وقوانين تحترم الشخص الإنساني في حد ذاته، يقول كانط: " إعمل دائما بحيث تجعل من عملك قانونا كليا للإنسانية "، وبهذا ساهمت الفلسفة في التأسيس للأخلاق الواجبية والقانونية التي يجب أن تحكم ميدان البيولوجيا والطب ضد النزعات البراغماتية والتطورية والوضعية التي تفصل العلوم البيولوجية والطبية عن القيم الأخلاقية.

ولقد استمرت النزعة النقدية الكانطية مع (هابرماس ) الذي حاول تحرير المجال التداولي والإتصالي الإنساني من قبضة المكننة والتشيؤ والاغتراب، وأكد في المقابل الحاجة إلى المناقشة والحجاج والنقد في كل المسائل بما فيها المسائل البيوإطيقية التي تحتاج بالنسبة له أيضا إلى الحق في الرفض أو القبول بالنسبة إلى المرضى، فالتعديل الجيني وإن كان يهدف إلى تحسين النوع الإنساني فإنه يتطلب حرية الإنسان في هذا القرار. يقول هابرماس: " لا قبل للإنسان أن يتحمل أن تكون حياته ومستقبله محددين جينيا، مع ما نعلم من مدلول ذلك بالنسبة إلى حريته، إذ لا يمكن للفرد أن يبقى مؤمنا بحريته إذا كان مستقبله ومآل أفعاله معلومين له من قبل." وهكذا تساهم الفلسفة في نقد العلم والتقنيات المرتبطة به وتحارب العقل الأداتي والبراغماتي في النظر إلى الانسان.

**-البعد الابستمولوجي:** حيث لا يمكن للبيوإتيقا أن تقوم دون الابستمولوجيا وفلسفة العلوم، خاصة تلك المتعلقة بالعلوم البيولوجية، أين تقوم الفلسفة بتحليل مبادئ تلك العلوم وأسسها ومناهجها، وتقدم معرفة واسعة بالمشاكل التي تطرحها، وهذا من شأنه مساعدة الباحث في البيوإتيقا على التقييم الأخلاقي لهذا المجال. ولذلك فالتطورات العلمية في مجال البيولوجيا والطب علميا وتقنيا لا يمكن تقييمها أخلاقيا دون معرفتها علميا وتقنيا، خاصة مثل قضايا الهندسة الوراثية والاستنساخ وتقنيات النانو وزراعة الأعضاء....

**البعد الأنطولوجي**: هنا يتساءل الفيلسوف ما إذا كانت النتائج العلمية في البيولوجيا والطب والبحث العلمي بشكل عام تخدم وجود الإنسان أم لا، وهذا ليس تساؤلا أخلاقيا بل تساؤل وجودي عن حرية الانسان ومعنى وجوده ومدى احترام تلك النتائج العلمية والتقنية المطبقة على الانسان لحقوقه الانسانية في العدالة والمساواة والحرية مثل حرية قرار المريض في اجراء العمليات الجراحية، و التوزيع العادل للوسائل والأجهزة الطبية والأدوية على كل جهات الوطن ...

* **خلاصة:** إذن نستطيع القول أن الفلسفة قد ساهمت في التأسيس للبيوإتيقا منذ نشأتها، كما ساهمت في التقييم الأخلاقي لمشاكلها المطروحة، والتحليل المعرفي والنقدي للعلوم البيولوجية والطبية التي تشكل موضوعها، وتوجيهها توجيها وجوديا إنسانيا يحترم حرية الإنسان ومعنى وجوده في الحياة.